وناب فى القضاء بظاهر القاهرة وصنف التنجيز فى الفقه وهو التعجيز إلا أنه يزيد فيه التصحيح على طريقة النووى ويشير إلى تصحيح الرافعى بالرموز وزاد فيه بعض قيود قال السبكي كان فقيهاً فاضلا ديناً ورعا توفى بالقاهرة فى ذى القعدة .

وفيها القاضى الاديب شمس الدين محمد بن الشهاب محمود كاتب السر توفى فى شوال عن ثمان وخمسين سنة .

﴿ سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ﴾

فيها نقض رخام الحائط القبلى من ناحية جامع دمشق الغربية فوجد الحائط منحدباً فنقض كأنه تغير من زلزلة فاخرب إلى الارض مساحة خمسين ذراعاً فبنى وأحدث فيه محراب للحنفية وجدد ترخيم حيطان الجامع سوى المقصورة وأركان القبة . وفيها توفى الامام القدوة عز الدين ابراهيم بن أحمد بن عبدالمحسن الحسينى العراقى الشافعى من ولد موسى الكاظم سمع من والده وحليمة بنت ولد جمال الاسلام والبادراى وجماعة وأجاز له ابن يعيش وابن رواج ونسخ بالاجرة وتفرد مع التقوى والعلم والورع توفي بالثغر في المحرم عن تسعين سنة .

وفيها شيخ الاسلام تقى الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن تيمية الحرانى الحنبلى بل المجتهد المطلق ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمائة وقدم به والده وباخويه عند استيلاء التتار على البلاد الى دمشق سنة سبع وستين فسمع الشيخ بها ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر والمجد بن عساكر ويحيي بن الصيرفى والقسم الاربلى والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر وغيرهم وعنى بالحديث وسمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبرانى الكبير ومالا يحصى من الكتب والاجزاء وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الاجزاء وأقبل على العلوم في صغره فأخذ الفقه والاصول عن والده وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر والشيخ زين الدين بن المنجا وبرع في ذلك وناظر وقرأ العربية

على ابن عبد القوى ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه واحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم ونظر في الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على أهله ورد على رؤسائهم وأكابرهم ومهر فى هذه الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة وأفتى من قبل العشرين أيضاً وأمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الادراك والفهم وبطء النسيان حتى قال غير واحد انه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه ثم توفى والده وله احدى وعشرون سنة فقام بوظائفه بعده مدة فدرس بدار الحديث التنكزية المجاورة لحمام نور الدين الشهيد فى البزورية فى أول سنة ثلاث وثمانين وحضر عنده قاضى القضاة بهاء الدين بن الزكي والشيخ تاج الدين الفزارى وابن المرحل وابن المنجا وجماعة فذكر درساً عظيما فى البسملة بحيث بهر الحاضرين وأثنوا عليه جميعاً قال الذهبي وكان الشيخ تاج الدين الفزارى يبالغ فى تعظيم الشيخ تقى الدين بحيث انه علق بخطه درسه بالتنكزية ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم وشرع من أول القرآن فكان يورد فى المجلس من حفظه نحو كراسين أو أكثر وبقى يفسر فى سورة نوح عدة سنين أيام الجمع وقال الذهبي فى معجم شيوخه شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً للامة وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه وكتب وخرج ونظر فى الرجال والطبقات وحصل مالم يحصله غيره وبرع فى تفسير القرآن وغاص فى دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر وقاد إلى مواضع الاشكال ميال واستنبط منه أشياء لم يسبق اليها وبرع فى الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظ من الحديث معزوا إلى أصوله وصحابته مع شدة استحضار له وقت اقامة الدليل وفاق الناس فى معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين بحيث انه اذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده وأتقن العربية أصولا وفروعاً

وتعليلا واختلاقا ونظر فى العقليات وعرف أقوال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطأهم وحذر ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين وأوذى فى ذات الله من المخالفين وأخيف فى نصر السنة المحضة حتى أعلى الله مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له وكبت أعداءه وهدى به رجالا كثيرة من أهل الملل والنحل وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته وأحيا به الشام بل الاسلام بعد ان كاد ينثلم خصوصاً فى كائنة التتار وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلى فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت انى ما رأيت بعينى مثله وانه ما رأى مثل نفسه انتهى كلام الذهبي وكتب الشيخ كمال الدين بن الزملكانى تحت اسم ابن تيمية كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا فى مذاهبهم منه أشياء ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ولا تكلم فى علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها وكتب الحافظ ابن سيد الناس فى جواب سؤالات الدمياطى فى حق ابن تيمية الفيته ممن أدرك من العلوم حظاً وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً ان تكلم فى التفسير فهو حامل رايته وان أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته أودان بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته أو حاضر بالحنل والملال لم ير أوسع من نحاته ولا أرفع من درايته برز فى كل فن على أبناء جنسه ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه وقال الذهبي فى تاريخه الكبير بعد ترجمة طويلة بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث وترجمه ابن الزملكانى أيضاً ترجمة طويلة وأثنى عليه ثناء عظيما وكتب تحت ذلك :

ماذا يقول الواصفون له ۔ وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة [١] لله باهرة ۔ هو بيننا أعجوبة الدهر

---

(١) فى الاصل « الله » بزيادة ألف

هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر

وللشيخ أثير الدين أبي حيان النحوى لما دخل الشيخ مصر واجتمع به فانشد أبو حيان :

لما رأينا تقى الدين لاح لنا ... داع إلى الله فرداً ما له وزر
على محياه من سيما الاولى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا ... بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم إذ عصت مضر
فاظهر الدين إذ آثاره درست ... وأخمد الشرك إذ طارت له شرر
يامن تحدث عن علم الكتاب أصخ ... هذا الامام الذى قد كان ينتظر

يشير بهذا إلى انه المجدد وممن صرح بذلك الشيخ عماد الدين الواسطى وقد توفى قبل الشيخ وقال فى حق الشيخ بعد ثناء طويل جميل ما لفظه فوالله ثم والله ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملا وحالا وخلقاً واتباعاً وكرما وحلماً وقياماً فى حق الله عند انتهاك حرماته أصدق الناس عقداً وأصحهم علماً وعزما وأنفذهم وأعلاهم فى انتصار الحق وقيامه همة وأسخاهم كفاً وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما رأينا فى عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة وقال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد وقد سئل عن ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته فقال رأيت رجلا سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء فقيل له فلم لا تتناظرا قال لأنه يحب الكلام وأحب السكوت وقال برهان الدين بن مفلح فى طبقاته كتب العلامة تقى الدين السبكى إلى الحافظ الذهبي فى أمر الشيخ تقى الدين بن تيمية فالمملوك يتحقق قدره وزخارة بحره وتوسعته فى العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وانه بلغ من ذلك كل المبلغ الذى يتجاوزه الوصف والمملوك يقول ذلك دائما وقدره فى نفسى أكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه

على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الاوفى وغرابة مثله فى هذا الزمان بل فى أزمان انتهى وقال العلامة الحافظ ابن ناصر الدين فى شرح بديعته بعد ثناء جميل وكلام طويل حدث عنه خلق منهم الذهبي والبرزالى وأبو الفتح بن سيد الناس وحدثنا عنه جماعة من شيوخنا الاكياس وقال الذهبي فى عد مصنفاته المجودة وما أبعد ان تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسماية مجلدة وأثنى عليه الذهبي وخلق بثناء حميد منهم الشيخ عماد الدين الواسطى العارف والعلامة تاج الدين عبد الرحمن الفزارى وابن الزملكانى وأبو الفتح وابن دقيق العيد وحسبه من الثناء الجميل قول أستاذ أئمة الجرح والتعديل أبى الحجاج المزى الحافظ الجليل قال عنه ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا اتبع لهما منه وترجمه بالاجتهاد وبلوغ درجته والتمكن فى أنواع العلوم والفنون ابن الزملكانى والذهبي والبرزالى ابن عبد الهادى وآخرون ولا يخلف بعده من يقاربه فى العلم والفضل انتهى كلام ابن ناصر الدين ملخصاً وكان الشيخ العارف بالله أبو عبد الله ابن قوام يقول ما اسلمت معارفنا إلا على يد ابن تيمية وقال ابن رجب كانت العلماء والصلحاء والجند والامراء والتجار وسائر العامة تحبه لانه منتصب لنفعهم ليلا ونهاراً بلسانه وعلمه ثم قال ابن رجب وغيره ذكر نبذة من مفرداته وغرائبه اختار ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كماء الورد ونحوه والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير قليلا كان أو كثيراً والقول بجواز المسح على النعلين والقدمين وكلما يحتاج فى نزعه من الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الاخرى فانه يجوز المسح عليه مع القدمين واختار أن المسح على الخفين لايتوقت مع الحاجة كالمسافر على البريد ونحوه وفعل ذلك فى ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد ويتوقت مع امكان النزع وتيسره واختار جواز المسح على اللفايف ونحوها واختار جواز التيمم بخشية فوات الوقت فى حق غير المعذور كمن أخر الصلاة عمداً حتى تضايق وقتها وكذا من خشى فوات الجمعة والعيدين وهو محدث

واختار أن المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال فى البيت وشق عليها النزول إلى الحمام وتكرره انها تتيمم وتصلى واختار ان لاحد لاقل الحيض ولا لا كثره ولا لأقل الطهر بين الحيضتين ولا لسن الاياس وان ذلك يرجع إلى ما تعرفه كل امرأة من نفسها واختار أن تارك الصلاة عمداً لا يجب عليه القضاء ولا يشرع له بل يكثر من النوافل وان القصر يجوز فى قصير السفر وطويله كما هو مذهب الظاهرية واختار القول بأن البكر لا تستبرأ وان كانت كبيرة كما هو قول ابن عمر واختاره البخارى صاحب الصحيح والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء كما هو مذهب ابن عمر واختيار البخارى والقول بأن من أكل فى شهر رمضان معتقداً انه ليل وكان نهاراً لا قضاء عليه كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء بعدهم والقول بجواز المسابقة بلا محلل وان أخرج المتسابقان والقول باستبراء المختلعة بحيضة وكذلك الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات والقول باباحة وطء الوثنيات بملك اليمين وجواز طواف الحائض ولاشئ عليها اذا لم يمكنها ان تطوف طاهراً والقول بجواز بيع الأصل بالعصير كالزيتون بالزيت والسمسم بالسيرج والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلى وغيره كالخاتم ونحوه بالفضة متفاضلا وجعل الزايد من الثمن فى مقابلة الصنعة والقول ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الافتاء بها محن وقلاقل قوله بالتكفير فى الحلف بالطلاق وان الطلاق الثلاث لايقع الا واحدة وان الطلاق المحرم لايقع وله فى ذلك مؤلفات كثيرة لاتنحصر ولا تنضبط وقال ابن رجب مكث الشيخ معتقلا فى القلعة من شعبان سنة ست وعشرين الى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ثم مرض بضعة وعشرين يوما ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ولم يفجأهم الا موته وكانت وفاته فى سحر ليلة الاثنين عشرى ذى القعدة ذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع وتكلم به الحرس على الابرجة فتسامع الناس بذلك وبعضهم علم به فى منامه واجتمع الناس حول القلعة حتى أهل

الغوطة والمرج ولم يطبخ أهل الاسواق ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين وفتح باب القلعة واجتمع عند الشيخ خلق كثير من أصحابه يبكون ويثنون وأخبرهم أخوه زين الدين عبد الرحمن انه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين وانتهيا الى قوله تعالى (إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عندمليك مقتدر) فشرع حينئذ الشيخان الصالحان عبد الله بن المحب الصالحى والزرعى الضرير وكان الشيخ يحب قراءتهما فابتدآ من سورة الرحمن حتى ختما القرآن وخرج من عنده من كان حاضراً الا من يغسله ويساعد على تغسيله وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم كالمزى وغيره ومافرغ من تغسيله حتى امتلأت القلعة وما حولها بالرجال فصلى عليه بدركاة القلعة الزاهد القدوة محمد بن تمام وضج الناس حينئذ بالبكاء والثناء والدعاء بالترحم وأخرج الشيخ الى جامع دمشق وصلوا عليه الظهر وكان يوماً مشهوداً لم يعهد بدمشق مثله وصرخ صارخ هكذا تكون جنايز أئمة السنة فبكى الناس بكاء كثيراً وأخرج من باب البريد واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وصار النعش على الرؤس يتقدم تارة ويتأخر أخرى وخرجت جنازته من باب الفرج وازدحم الناس على أبواب المدينة جميعاً للخروج وعظم الامر بسوق الخيل وتقدم فى الصلاة عليه هناك أخوه عبد الرحمن ودفن وقت العصر أو قبلها بيسير الى جانب أخيه شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية وحزر من حضر جنازته بمائتى ألف ومن النساء بخمسة عشر الفاً وختمت له ختمات كثيرة رحمه الله ورضى عنه . وفيها شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن بدر الجزرى ثم الصالحى المقرئ الفقيه الحنبلى ولد فى حدود السبعين وستمائة وقرأ بالروايات على الشيخ جمال الدين البدرى وسمع من جماعة من أصحاب ابن طبرزد والكندى ولزم المجد التونسى وأخذ عنه علم القراءات حتى مهر فيها وأقبل على الفقه وصحب القاضى ابن مسلم مدة وانتفع به وكان من خيار الناس دينا وعقلا وحياء ومروءة وتعففاً أقرأ القراءات وحدث وتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قاله ابن رجب .